

## أثر حكايات ألف ليلة وليلة في القصة الإنكليزية

أ.د. عبد الستار جواد

كلية الآداب - جامعة بغداد

منذ صدور الترجمة الفرنسية لحكايات ألف ليلة وليلة (١٧٠٤-١٧١٧) على يد الباحث وسكرتير السفير الفرنسي لدى الباب العالي أنطوان غالان Antoine Galland أصبحت "الليالي العربية" كما شاع اسمها في أوربا حديث الناس من خاص وعام وذلك بما طرحته من سرد حكايات جذاب ينطلق في مخيلة القارئ عبر القارات ليجوب المدن وشوارعها ويذكر حكايات الحلاق الثرثار والسندباد البحري والجنى ومصباح علاء الدين السحري وعلي بابا التي تناقلتها الألسن وتناولتها الأقلام وصاغ منها موسيقيون ورسامون وفنانون روائع الأعمال الإنسانية التي اخترقت التخوم وخاطبت العقل والخيال بلغة عالمية مشتركة هي لغة الفن الأصيل التي يجيد قراءتها الشرقي والغربي على حد سواء<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من صدور عدة ترجمات لاحقة تفاوتت في السعة والشمول والاختيار، إلا أن ترجمة غالان هي التي اطلقت سحر الليالي العربية في أوربا.

يقول الكاتب P.H. Newby الروائي الإنكليزي

(كان غالان بلا شك هو الذي أمسك بخيال الغرب وهو الذي قدم

هارون الرشيد وشهزاد إلى جميع الصالات من موسكو إلى

مريد وبدأ تلك التأثيرات الشرقية البديعة في الآداب الأوربية

والتي أنتجت أعمالاً مختلفة مثل *Vathek Voltaires Zading*



من تأليف Backford . ولسنوات طويلة كان العقل الأوربي يبني خيالاته على عالم اليونان والرومان والآن شرع في خيال مجنح أكثر ثراءً يدور حول بغداد . دار السلام حيث تستطيع عين العقل رؤية مناظر جديدة أكثر إثارة حيث القصور تتألق في الفضاء ، هناك بريق الجواهر وزقزقات الطيور الغريبة والخيول الطائرة التي تجوب سماء الليل ، حيث تنهض الأرواح لتكشف عن كنوز الأرض الخفية ، ومع السندباد يستطيع القارئ العادي أن يبحر في أوروبا جديدة عبر البحار الزرق حيث الجزر بيضاء مثل الكافور<sup>(٢)</sup>.

لقد سحرت ألف ليلة وليلة القارئ الأوربي بطريقتها الجديدة في عرض الحياة انعماء وتفصيلها والحرف والصناعات الشعبية وأبطال الحكايات الأسطوريين الذين أصبحت اسماءهم على كل لسان ، كل ذلك بأسلوب سردي مشوق يمسك بتلابيب القارئ حتى آخر سطر حيث تدرك شهرزاد الصباح وتسكت عن الكلام المباح .

ليس ثمة شك لدى الباحثين والمستشرقين في قوة تأثير الليالي العربية على الفن القصصي العالمي بحيث عدت من أبرز الأعمال الأوربية العالمية في العصور الوسطى وتوالت ترجماتها إلى لغات مختلفة وألحقت بها شروح وتعليقات ، مثلما صدرت منها مختارات تضم أبرز الحكايات ، ولكل طبقة هدف وفيها جهد مقدور فمن الثابت حقاً أن ألف ليلة وليلة عمل كلاسيكي عالمي World classic من الطراز الأول .

يقول R.G. Moulton "

في لحظة واحدة تنتقل بنا الليالي العربية إلى قلب العصور الوسطى ، حيث كانت حياة العرب قد جلبت معها الشعر والعلم والفن إلى أوروبا قبل تلك التاريخ . والآن تقدم الليالي العربية



للقارئ الإنكليزي ، حياة العصور الوسطى ، كما ينظر إليها من الجانب البعيد ، أنها رحلة ثقافية منفصلة عن حياتنا المسؤولة ولكنها منعكسة في عالم الاستشراق البهي . بدلا من لندن أو باريس أو روما ، لدينا الآن بغداد ودمشق والبصرة وحران والقاهرة وضمراينس ... حيث نتعرف عموما على إمبراطورية تمتد من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب" (٣) .

### ملخص الليالي العربية :

يضم كتاب ألف ليلة وليلة مجموعة من الحكايات الأسطورية التي تدور حول قيام الملك شهريار بقتل زوجته التي خانتها وعزمه على اتخاذ زوجة جديدة كل ليلة ثم يقتلها في الصباح التالي ، وحين عرفت شهرزاد وهي أبنة وزيره بحكايته تقدمت للزواج منه باختيارها ورغبت في أن تكون مرافقة لها في عرسها أختها نيزاد فوافق الملك على رغبتها . وعند الزفاف اختلى الملك بهما فطلبت نيزاد أن تروي شهرزاد حكاية جميلة فشرعت هذه في سرد مشوق لحكاية مثيرة الأحداث والفضول بحيث استرعت انتباه الملك الذي استغرق في الإصغاء مشدوداً إلى السرد الأخاذ والخيال المجنح والفضول وعندها توقفت شهرزاد عن الحديث الأسر للانتباه ولم تكمل الحكاية فعزم شهريار على تأجيل قتلها ليعرف خاتمة الحكاية التي تولدت عنها حكاية أخرى في اليوم التالي تتوقف فيها شهرزاد عند نقطة معينة تثير الترقب والحدس وهكذا استمرت الحال حتى آخر الحكايات حيث أنجبت شهرزاد للملك ثلاثة أبناء ورثة لملكه وعندها أعجب الملك بذكاء زوجته فتغيرت حاله وسعدت أحواله (٤) . وتتجلى هذه الحكايات سواء كان عددها ٢٦٤ أم أكثر في قدرتها على رسم صورة متكاملة لحياة العرب والمسلمين في مختلف جوانبها حيث الواقعي والمتخيل ، المعقول والخرافي الأسطوري وحيث يمتزج العقل بالعاطفة . ولكن الحكايات في مجموعها تجسد واقع الحياة اليومية وهذا ما يشكل نسيج المشاهد . أنها تقدم



للقارئ ذلك الشرق الأسطوري وروح المغامرة فيه بسحره وعطوره وعشاقه وأمرائه وحياته اليومية المعاشة ، كل ذلك بأسلوب ساحر وأثر لا يُنسى<sup>(٥)</sup> .

ولقوة الخيال وجموحه في ألف ليلة وليلة يذهب بعض المستشرقين إلى أنها لا تقدم صورة واقعية للحضارة العربية ، ولكن هؤلاء يؤكدون أنها تقدم صورة واقعية للحياة العاطفية للعرب الذين أبدعوا الحكايات ولونوها بخيالهم وأن هذه الحياة العاطفية هي السمة المميزة لأي ثقافة إنسانية<sup>(٦)</sup> .

ويعتقد الكاتب والباحث شارلس آدمز Charles J. Adams أن الآداب الغربية اقتبست الكثير من حكايات الجن وقصص الأطفال fairy tales من ألف ليلة وليلة وأن كلمة jinn دخلت اللغة الإنكليزية منها<sup>(٧)</sup> .

ويعتقد مولتن أن العدوان Arabian Nights يذكرنا بأن اللغة العربية كانت بالنسبة للعالم الإسلامي بمثابة اللاتينية عند العالم المسيحي فمن خلال العربية وصلتنا حكايات هاجرت من الهند وبلاد فارس وتركيا ، وكذلك كان على العبرية واليونانية أن تترجما إلى العربية إذا أردتا الحصول على جمهور<sup>(٨)</sup> .

أن كتاب ألف ليلة وليلة أكثر من سواه يقدم للقارئ الإنكليزي ما يسمى بالأدب العائم flattening literature أو الحكائي المروي في المجالس والمقاهي والذي تطور فيما بعد إلى الرواية الخيالية التي شاعت في العصور الوسطى romance ، تلك العصور التي كانت ملتقى الآداب العالمية . إن دارس تطوّر الفنون الأدبية وأجناسها لابد أن يقف عند الفن القصصي في حكايات ألف ليلة وليلة حيث تتوالد الحكايات من بعضها فتلد القصة قصة أخرى ولكن ولادتها طبيعية . في مجموعة حكايات Decameron يقدم Boccaccio صندوقاً سحرياً يضم عدة صناديق متداخلة في بعضها حيث يضم كل صندوق حكاية وينقلنا المؤلف إلى قصة الطاعون في فلورنسا وطيران السيدات الأثنيات والرجال إلى القصور الريفية حيث يستمتعون ويتسامرون بالحكايات التي كوكت مجموعة أو إطار Decameron التي استقى بوكاشيو قصصه فيها من مصادر



عديدة يبدأها من مدينة فلورنسا التي ضربها الطاعون عام ١٣٤٨ فيبدأ سبع نساء شابات أنيقات مع ثلاثة شبان بمغادرة المدينة إلى قصور مجاورة وهناك يبدأ كل واحد بسرد حكاية كل يوم بحيث بلغ مجموع الحكايات مئة ، يرى كثير من الباحثين أنها تأثرت بأسلوب القصة داخل القصة *framestory* التي ابتدعتها ألف ليلة وليلة ، ثم انتقل تأثيرها إلى *حكايات كاتتر بري للأديب والشاعر الإنكليزي الكبير Chaucer* .

### حكايات كاتتر بري :

يؤسس شوسر إطاره القصصي *frame-story* في الحج إلى كاتتر بري حيث يروي الحجاج قصصهم في الطريق ، في حين يبدأ الإطار القصصي لحكايات ألف ليلة وليلة بالإحياء المميز لسلطان غيور يتزوج ملكة كل يوم ليقتلها في الصباح ولكن *شهرزاد* تفتح في كسر هذا القرار عن طريق حكايات تتوقف عن إتمام نهاياتها في نقطة مثيرة لكي يتأجل الإعدام يوماً بعد يوم حتى نهاية الألف حكاية وحكاية حيث لم تعد له قيمة .

عند شوسر تتأسس في المقدمة العامة *Prologue* القصة الأم التي تلد باقي القصص *frametale* حيث يلتقي الشاعر تسعة وعشرين حاجاً في نزل *تابارد جنوب لندن* ويتفق معهم على الحج إلى ضريح القديس *Thomas a Becket* في كاتدرائية كاتتري . ويقترح صاحب النزل الذي يدير الاحتفالات ومراسيم الحج بأن يحكي كل حاج حكايتين في الطريق إلى كاتتر بري وحكايتين عند العودة ويعد صاحب القصة الفائزة بعشاء فاخر .

كانت خطة شوسر ستضم ١٢٠ أو ١٢٤ حكاية ولكنها لم تنفذ فقد أتاحت الفرصة لـ ٢٣ حاجاً فقط والذي وصلنا عشرون حكاية كاملة واثنان ناقصتان هما حكاية الإقطاعي *Squire* والطباخ كما تركت حكايتان من دون إتمام هما *(Sir Thopas and Monk's)* إذ أسكتت المجموعة رايتي الحكايتين .



في المقدمة العامة يصف شوسر كل حاج ثم يصف فيما بعد تفاصيل أخرى عن حياته وشخصيته بحيث تتطور الحكاية لتتجنب حكاية أخرى . وقد استمد شوسر موضوعات حكاياته من الروايات التي كان يتداولها الناس في القرون الوسطى ، ولكن أصالته تتجلى في طريقة عرضه لهذه الحكايات وشاعريته الفذة وقدرته على تناول موضوعاته وشخوص حكاياته .

أن الذي يقرأ حكايات كانتربري يرى عصر شوسر كما هو مصورٌ بريشة فنان مبدع - العصور الوسطى الجميلة بغزلها الرقيق الذي يتخذ حجة لمجون خفي ونساءها اللاني طلين وجوهن بالأصباغ الزاهية وشباتها المتأقنين الذين عقدوا على أجيادهم الياقات الواسعة وضفروا شعورهم وتطيبوا بماء الورد . هناك العصور الوسطى التي تؤمن بالخرافات والأشباح ويخدعها أهل الصنعة والمنجمون . تلك العصور الوسطى المولعة بالجدل وقد أنهمك أهلها في سؤال وجواب وأخذ ورد ومناقشة ومطالعة . العصور الوسطى المضيافة وقد كثرت فيها الفنادق واختلط الحابل بالنابل .

ويتجلى تفوق شوسر في قدرته على ربط مختلف الحكايات بعضها ببعض فما أن ينتهي الراهب من حديثه عن موت بعض الشخصيات الشهيرة مثل نيرون وقيصر وكريزوس وغيرهم حتى يقول الفارس بعد انقضاء ساعة من الاستماع إلى هذه الحكايات المخرفة .

- كفاتنا من هذا يا سيدي المحترم . أعتقد أن حسبنا ما سمعنا من حزن فينبري صاحب الفندق مؤيداً :

- أن ما نقوله أيها الفارس لصحيح أن هذا الراهب ليكثر جداً . سيدي الراهب حسبنا من هذا أن حكايتك تمل كل السامعين مثل هذه الحكايات لا تساوي قيمة فراشة فليس فيها مزاح وليس فيها لعب .

ولكن الراهب يرفض فيتوجه صاحب الفندق إلى الكاهن ويلقي إليه بدفة الحديث ، فيأخذ الكاهن يقص حكاية الديك Chanticleer شانتكلير والدجاجة



بيرتلوت Pertelote وما يكاد الكاهن الذي سرّ السامعين يفرغ من كلامه حتى يجد المؤلف وسيلة أخرى لطيفة للانتقال من حكاية إلى أخرى على لسان شخص آخر<sup>(١)</sup> .

لقد استطاع شوسر أن يجسّد في حكاياته طبيعة الحياة اليومية في عصره ممثلاً لكل فئات المجتمع وطبقاته جامعاً كل شخوصه إزاء هدف عام رسم له خطة محكمة أنجزها شاعر لا مهندس معماري . ولقد نجح شوسر في خلق تفاعل وترايط مستمر بين أبطال حكاياته فلم تكن الحكاية المولدة أو المتداخلة شكلية أو آلية ، فقد كان الشخوص في حالة تفاعل يعنى بعضهم على الآخر يتناولون الخمر ويصرون في الوقت ذاته على أن يسمع الآخرون حكاياتهم مثل حكاية (الطباخ والحانك) ويقاطع أحدهم الآخر مثل (الفارس والراهب) ويروون حكايات ترتبط بحكايات أخرى بأساليب مختلفة .

لقد أعدّ شوسر باتقان إطاره القصصي ، من ذلك الدور الذي يقوم به المضيف صاحب النزل الذي يتولى الإشراف على مراسيم الحج ، ومكاتب شوسر كمراقب وراوي ، وهذه عناصر ضرورية لتمسك بالقصص سوية على الرغم من الاختلاف والتنوع فيها مع تنوع أصحابها وصناعاتهم وحرفهم ومواردهم . ولقد عمد الشاعر إلى زيادة المؤثرات الدرامية وتعميق الخطاب الفلسفي والفكري وجعل شاعريته وشخصيته على سلسلة الحكايات التي توحد فيها الراوي مع السرد القصصي وهذا ما أضفى عنصر القوة على الحكاية وعلى شخصيتها . ثم أن الحكايات نفسها كانت تسير أفكاراً ودوافع يثير أحدها الآخر ، مجموعة الزواج تناقش العلاقة السليمة بين الزوج وزوجته ، وضمن المجموعات الأكبر تتوحد المقاطع الأصغر بواسطة التقارب بين الحكايات وبين الشخصيات . لقد جاءت القصص لتناسب روايتها على الرغم من أن كلا منها يتحرك في عالمه الخاص الذي عبّرت عنه المفردات المستعملة في كل حكاية ووجهة النظر والأنواع البلاغية والأسلوب العام .



لقد أظهر شوسر قدرة فائقة على تصميم حكاياته على غرار الصندوق الصيني الذي يضم عدة صناديق أصغر فأصغر إلى أبعد حد ممكن .  
 نيس من السهل بالطبع الجزم فيما إذا كان شوسر قد أطلع على ألف ليلة وليلة في بعض ترجماتها الأولى أو عرفها عن طريق Boccaccio الإيطالي ، ولكن من الواضح أن أسلوب حكايات ألف ليلة وليلة في السرد الحكائي واعتماد القصة المتداخلة ورسم صورة الحياة اليومية وطرائق الناس في أفكارهم وفي ممارسة صناعاتهم ، تجعل المرء يمعن النظر في تأثير الليالي العربية في فن القصة الأوروبية على طريقة الصندوق الصيني الذي يضم صناديق تستندق في الصغر تدريجياً وبشكل متداخل ضمن الصندوق الأكبر الذي يقابل .Frame Stoy

ولإيضاح ذلك تروي شهريزاد حكاية الأحذب الذي يبدو أن موته يشير إلى تورط خياط وطبيب ومبائشر وتاجر . وحين يجلب الأربعة مع جثة الأحذب أمام السلطان يعجز السلطان عن دهشته من تعقد الأمور وتشابكها بهذا الشكل الذي لم يعرفه من قبل . يطلب التاجر الأذن برواية حكاية أكثر غرابة ولكن ما يقوله لم يكن كافياً بحيث يهم السلطان بشنق الأربعة ، ولكن المتعهد يدعي أنه سيروي حكاية أكثر غرابة من موت الأحذب وهكذا إلى أن جاء دور الطبيب ثم الخياط . كل واحدة من هذه الحكايات تروي بحيث تشير إلى حكاية أخرى ، الأولى حكاية الرجل مقطوع اليد والثانية حكاية الرجل مقطوع الإبهام ثم حكاية الطبيب عن مريض مبتور الأطراف ، ولكن حكاية الخياط تقوم بدور القصة الأم Framestory للقصتين الأخريين حين يشير إلى أن ضيفاً أعرج ترك في حفلة عرس ولم يسمح له بالجلوس مع ضيف آخر وصف بالهلالق الثرثار ، فلو سمح للضيف الأعرج برواية حكايته فمن المساواة أن يسمح للحلاق بسرد قصته .

يحكى الحلاق الثرثار عن مغامرة تشير بشكل جلي بأنه أكثر الناس سكوتاً، ولكن يعترف بأنه ينحدر من عائلة ثرثارين . وقبل أن يوقف عن الحديث يروي عن اتوالي حكايات إخوانه الستة وكان أخوه الأول هو الأحذب والأخ



الثاني كان الأندرد والثالث أعمى والرابع كان أعور والخامس بلا أندين في حين كان الأخ السادس مشقوق الشفتين ، وحين تروي حكايات الأخوة الستة ، عندها فقط يختم الحلاق الثرثار حكايته . ولكن يجب أن نتذكر أن قصة الحلاق الثرثار كانت فقرة في حكاية الخياط والآن يمكن إكمال حكاية الخياط . لكن عدنا الآن إلى حكاية الأهدب والسلطان الذي أصغى إلى هذا التداخل والتشابك في السرد والذي يختار - كما يختار القارئ - قصة الحلاق الثرثار على أنها الأكثر إثارة للاهتمام . ويبدو أن الحلاق هذا كان يعيش في مدينة السلطان نفسها وبالإمكان طلبه . يصر الحلاق على أن يوضح الظروف المحيطة به وهكذا يروي له كيف مات الأهدب والظروف التي رافقت موته على تشابكها .

بعد ذلك تقع مفاجأة - وهي أن الحلاقين في تلك الأزمان كانوا يمارسون الجراحة ، فلاحظ شيئاً غريباً في جسم الأهدب إذ أخرج عظم سمكة من حنجرته فعادت الحياة للأهدب ، وعندها تنتهي حكايته بخاتمة سعيدة حيث تعود إلى القصة الأم شهرزاد .

أن هذا التداخل السردي البديع الدقيق الذي يمثل حبكة شرقية دقيقة التصميم ، هو جزء من القوى التي مهدت الطريق للمسرحية الرومانتيكية عند شكسبير التي تمزج سوية حكاياتها العديدة بذلك الإحياء الفني الأخلاقي<sup>(١٠)</sup> .

ولقد أوحى حكايات ألف ليلة وليلة للعديد من الفنانين والموسيقيين العالمين بالكثير من الإبداعات التي استلهموا فيها روح الليالي العربية وخيال شهرزاد وفطنتها وذكائها وما صاغه مؤلف الليالي العربية من صور شعرية ونثرية جسدت الحياة اليومية وتفكير العصر وعقلية الناس بشكل نادر فريد<sup>(١١)</sup> .

ولكن عالم القصة ، ما زال حتى يومنا هذا يستلهم من ألف ليلة وليلة ذلك الأسلوب السردي التي تتناسل فيه الحكايات من الحكاية الأم المولدة لباقي الحكايات .



## حكاية شهرزاد (المولدة)

## Frame story

## حكاية الأحبب والأربعة المتورطين في موته

التاجر	المباشر	الطبيب	الخياط
تتضمن حكاية مقطوع اليبدين	تتضمن حكاية مقطوع الإبهام	تتضمن حكاية المريض مبتور الأطراف	تتضمن حكاية الضيف الأعرج:

## حكاية الحلاق الثرثار

- ١ - حكاية شقيقه الأول (الأحبب) .
- ٢ - حكاية شقيقه الثاني (الأردد) .
- ٣ - حكاية شقيقه الثالث (الأعمى) .
- ٤ - حكاية شقيقه الرابع (الأعور) .
- ٥ - حكاية شقيقه الخامس (الأصنم) .
- ٦ - حكاية شقيقه السادس (الأثرم) .

( أ ) ختام قصة الحلاق .

( ب ) ختام قصة الخياط .

( ج ) ختام قصة الأحبب .



بداية جديدة للقصة المولدة



## الهوامش :

١. نشر غالان ترجمته بين عامي ١٧٠٤-١٧١٧ بعنوان :  
*Mille et une Nuite, Conte, Arabes traduits en Francais*  
 بعد أن أتقن العربية وعمل دبلوماسياً في أسطنبول عدة سنوات ، وكان  
 أبرز المستشرقين الفرنسيين ، ولد غالان في باريس عام ١٦٤٦ وتوفي  
 عام ١٧١٥ في باريس التي تخرج من كليتها ، تقع ترجمة غالان في  
 ١٢ مجلداً.
  2. Sir Richard Burton, *The Book of the Thousand and One Nights* , A selection by P.H. Newby, London :  
 Arthur Barker , 1958, P. 7.
  3. R.G. Mouton, *World Literature* , Mass, Macmilan,  
 1916, P. 304 .
  ٤. ظهرت من كتاب ألف ليلة وليلة طبعات عديدة ، أشهرها طبعة بولاق  
 الثانية التي صدرت عام ١٢٧٩ هجرية .
  ٥. يذهب بعض الباحثين إلى أن أصل الحكايات العربية هندي أو فارسي وأن  
 مؤلفها أكثر من واحد ، ومن هؤلاء محمد غنيمي هلال في كتابه "الأدب  
 المقارن" ، أنظر ص ٢١٤-٢١٥ من طبعته الثالثة والصادرة عام  
 ١٩٧٧ في حين ينبري من الكتاب الغربيين والمستشرقين المنصفين إلى  
 القول أن مؤلف ألف ليلة وليلة هو الجهشاري صاحب كتاب الوزارة  
 والكتاب ، وأن الحكايات ألقت أصلاً في بغداد ثم أضيف لها حكايات في  
 مصر وأنها عربية الروح والأصل أنظر :
- Sir Paul Harvey, *The Oxford Companion to English Literature* , Oxford , OUP , 1967, P. 35.



6. Sir Richard, Op. P. 15.
7. Charles J. , Adams "Islamic Faith" in R.M. Savory (ed) , Islamic , Civilization , P. 42..
8. R.G. Moulton, Op. Cit., P. 306.
9. Geoffrey Chaucer, The Canterbury , Tales, translated into modern English by Nevill , Coghill , Penguin, 1965, P. 207-231.

وفي هذه الحكاية يذكر شوسر الكثير من الأبطال الشرقيين مثل نبوخذنصر ورتوبيا .

10. R.G. Moulton, Op. Cit., P. 310.

١١ . أوحث شهرزاد وحكاياتها للعديد من كبار فناني العالم إبداعات خالدة منها رائعة الموسيقار كورساكوف "سمفونية شهرزاد" .